آفاق الكتابـة الإبداعية الرقمية الجديـدة (الرواية التفاعلية العربية أنموذجا)

الدكتورة :نجوى منصوري

جامعة باتنة 1-الجزائر

ملخص:

يساير النص الروائي العربي المعاصر في الوقت الراهن ذلك التطور الذي أحدثته التجربة الابداعية السردية والشعرية في الأدب الرقمي، وهو ما منح هذا النص انفتاحا ثقافيا جديدا من نوع مختلف، وقد أسهم الناقد العربي المعاصر في تطوير ونضج الكتابة الالكترونية، وشجّع المبدعين على التجريب فيها.

Abstract:

The narrative text the contemporary Arab walks at the time current with the development who created him the excellent attempt different between the hair and the presentation in the digital literature, and he what granted the text raved cultural openness New from kind different, and the Arabic critic contemporary participated in Scattered and electronic maturity the writing, and encouraged innovative on the trying**.**

مقدمة:

شهدت الرواية العربية والعالمية تطورا ملحوظا في علاقتها بالكتابة والتدوين؛ فمن الشفوي الذي يركز على القصة ومضمونها وطرق تقديمها ووسائطها الشفاهية إلى الكتابي وأشكال تقديم النص طباعيا وفق لعبة السواد و البياض، وشكل الخطوط وعلامات الترقيم...وغيرها؛بحيث كا للأداء الشكلي وتغييره واختلافه عن الأشكال السابقة بناء ودلالة الصلة الوثيقة بتغيير الوسيط في السرد والمرتبط في مراحل تطور الرواية باللسان والكتابة أو التدوين، وهو مامنح امكانات الوسيط في إتاحة عمليات الانتاج الدلالي والتلقي .[1]

وعلاقة النص السردي بالوسيط وتطوره منح الرواية ذلك الإنفتاح على الوسائط العصرية التي أتاحتها الثورة التكنولوجية ووسائلها المختلفة، ومنها الصورة السينمائية والكتابة الحاسوبية وبرمجياتها وأدواتها، وهو ما منح الإبداع الروائي آفاقا جديدة في الكتابة والتلقي، تقول زهور كرام: إن الوسائط الرقمية والالكترونية فتحت مجالات العملية الابداعية وتجلياتها، بحيث : " انعكست تجربة

هذا التجلي المغاير على صورة الأدب وقراءته.كما غيّرت أسئلة نظرية الأدب التي جعلتها تجربة الأدب في تجليه الرقمي، تغادر الثبات وتنفتح على فرضيات جديدة " [2]،فالتحولات التي شهدها الابداع الروائي مع تحولات الحياة الاجتماعية والفردية عكست طرقا ووسائط جديدة في الكتابة خاصة وأن المبدع لم تعد حاجته في الكتابة لأجل التنفيس عن الذات المتأزمة بقدر حاجته إلى متلقي يتجاوب ويتفاعل وحمولات هذه الكتابة الذاتية بحيث يعطي للنص وجودا ما.

يقوم القارئ بتوليد الدلالة وتأويل النص، عن طريق تفاعله مع الترميز العلاماتي بشتى أنواعه ومنه البصري الذي كان ارهاصا للرقمي، وهي الآلية التي تبني صرح النص قرائيا وتمنحه كينونة ووجود ما، بحيث يكون التلقي تسليما "بمراكز ممكنة البناء انطلاقا من سؤال المؤوّل لا من نوايا المؤلف "[3] فالقارئ هو من ينتج سياق النص الناطق بالدلالات الممكنة فيه.

1- طبيعة النص الروائي الرقمي ومصطلحاته:

كان لظهور الأدب الرقمي في أمريكا وأوروبا الدور الكبير في تحولات الابداع الأدبي عموما والكتابة فيه، حينما ارتبط بالتكنولوجيا والثورة الرقمية، وقد كان الغرب سباقا إلى ذلك.

ظهرت أول رواية الكترونية غربية عام 1986م بعنوان " الظهيرة قصة" (Afternoon , a story) لميشيل جويس (Michel joyce) واستخد فيها الروائي برنامج (المسرد) الذي وضعه دافيد بولتر (David bolter) وتوالت بعده الكتابات الروائية الرقمية وكتب فيها: الفرنسِيَيْن فرونسوا كولون (Francois coulon) وفرانك روفور(Franc dufour) ، والأمريكي روبرت أرلانو (Robert arellano) المعروف باسم بوبي رابيد (bobby rabyd)[4].

وإذا حاولنا حصر المصطلحات التي يقترحها كتّاب ومنظّروا الرواية الغربية المقدّمة عبر الوسيط الالكتروني والمتعلقة بالامكانات المتاحة لتقديم هذه الرواية بصور مختلفة ومتعددة وجدناها على اختلافها وتعددها تلتقي في كونها تمثل جزء من المفهوم الكلي للنص الجديد، ومن هذه المصطلحات: [5]

- Hypertexte fiction\Hyperfiction: وتعني البعد التشعبي أو الترابطي في النص الروائي أو الرواية التشعبية، والجدير بالذكر هنا أن صفة أو تقنية "التشعب" لا تحيط بسمات النص في كليته وإنما هي عنصر من عناصر الرواية كاملة والتي يدخل في تركيبها عناصر : الصورة والصوت والحركة ... بالاضافة إلى عنصر التشعب أو الترابط.

- Digital novel\Internet novel: بمعنى رواية رقمية مقدمة على الشاشة الالكترونية أو شبكة الانترنيت.

- Nonlinear fiction :بمعنى استخدام تقنية الترابط المبني على اللاخطية أو التشعبية

يقوم النص الروائي الرقمي على فكرة "الشذرات"؛ بمعنى أن يقّدم النص في شكل مقتطفات تحمل النص كاملا، ويتم الانتقال بينها عبر "روابط" تجمع شذرات النص التي تبددت بفعل الرقمنة، ويكون الانتقال بشكل تلقائي عبر تنشيط الروابط أو النقر عليها، ولعل فاعلية الروابط تحيل إلى محاولة فهم العملية الابداعية القائمة على التخييل الشذري أو التشعبي .

2- خصائص الرواية الرقمية الغربية:

يعمل المحكي التشعبي على اكتشاف اشكال جديدة وحوامل أو روابط مبتكرة لتطوير الخيال الابداعي، وقد عرفت الرواية الغربية تحولات في هذا المجال بدء من أول عمل تخييلي تشعبي (الظهيرة، قصة) ، ويمكن تلخيص تلك التحولات من خلال جملة من الخصائص والسمات وتتمثل في الآتي :

أ- **الفضاء التشعبي** :[6]

يقوم التشعب في السرد الرقمي على اللعب بخطية الوسيط ، بحيث يمنح القارئ امكانية ترك خط سردي وتتبع خط آخر عن طريق النقر على كلمة أو جملة، وبناء مسار خاص بالقارئ ذاته، وكلما تقدّم القارئ من خلال هذه التشعبات زادت امكانية الاستطراد أو المشي على هامش مسيرة السرد أو فرصة وصف مشهد أو استحضار ذكرى....وهو الفعل القرائي الذي ينتج النص بصور مختلفة كلما اختلفت القراءات، ذلك أن النص التشعبي يقدّم مسارا ت عديدة للقارئ ويفتح له المجال لاختيار احدى تلك المسارات التي ستجدد مسارات ثانوية جديدة، وهو ما يجعل القارئ يتشعب في العمل بنوع من التحكم فيه بحيث يصبح بناء يصنعه بنفسه .

يصل التشعب النصي بفعل القراءة إلى أشكال متطورة تمنح القارئ فوق ما يطمحه من قراءة أو فهم وتأويل عمل تخييلي سردي، بحيث يصبح جزء من النظام التلفظي ؛ بمعنى أن العمل يبنى على الشاشة تدريجيا بفعل القراءة المتمثلة في النقر باستمرار على رابط أو في اختيار المسارات أو في الاجابة عن أسئلة ... وهو مايجعل مسالك النص تتعدد في محاولة وصول قراء متعددين نحو النهاية، أو أن

يكون شخصية فعلية في العمل تقوم بالمغامرة لأجل الوصول إلى النهاية؛ بحيث يقترح المؤلف ديكورا يصبح فيه القارئ ممثّلا حيّا في الحكاية على طريقة اللعب الدرامي .

ومن أساسيات نجاح تشكيل العمل التخييلي التشعبي بصوره المذكورة وغيرها أن يكون المؤلف على معرفة جيدة بميدان الحاسوبيات والبرمجيات ومهارة في اعداد مسارات متعددة وفي خلق شبكة مركبة ومعقدة من الروابط التي توجَّه في الأخير إلى مجموعة من القراء وترضي فضولهم أو رغبتهم في اكتشاف آفاق النص المتجددة .

ب- **النصوص الشجرية والتوليفية:**[7]

يصمم المؤلف النصوص الشجرية لتقرأ بشكل خطي عبر مسارات متفردة تشكّل كل منها مسلكا يسرد حكاية ويسوق القارئ إلى نهايتها، ومن أنواعها الحكاية ذات المسارات الحلقية التي تقدّم مسارا مركزيا مع تفريعات في مواضع مختلفة ويكون توليف الحلقات غير منطقي .

لا تخضع الشجرية والتوليفية للنظام التشعبي التام المنبني على وحدات سردية شذرية أو متناثرة ، وانما يكون النص التشعبي وفق منطق التوليف والشجرية عبارة عن مجموعة من المقاطع السردية شبه منظمة .

ج- أثر القارئ:[8]

تعد القراءة الرقمية رحلة في عالم النص بحيث يشق القارئ طريقه بنفسه في محاولة جمع وتركيب شذرات النص، ويترك النص أثر هذه الرحلة معترفا بدور القارئ في صياغة النص وظهوره.

ومن الإمتيازات التي يمنحها النص التشعبي لقارئه:

-إمكانية طبع المقاطع المقروءة (أي الجزء الذي أظهره القارئ)

-إمكانية عرض وطباعة المقاطع وبالتالي امكانية الحصول على نمط من خريطة قراءة النص

- إمكانية الرجوع من المسار الذي اتبعه القارئ في البداية، والدخول في مسارات جديدة و من صور أثر القراءة في كتابة النص التشعبي: إضافة هامش يمكن للقارئ أن يكتب فيه، أو تحويل حدود الصفحة إلى أيقونة، أو الكتابة مباشرة على النص الأول بالانخراط في مسار النص، أو ادراج وصلات الكترونية تربط نصوصا جديدة بالنص الأول...، وتلك الصور تلغي الحدود الفاصلة بين عمليتي الكتابة والقراءة

مع بقاء صعوبة الالمام الكلي والنهائي بمسارات وتشعبات النص، بحيث قد يستصعب القارئ احداث تطور على الحكاية التشعبية وتكون نهاية تجربة القراءة .

د- تفكيك الحكاية :[9]

على ضفاف فعل الحذف والاسترجاع والاستباق والتشيؤ... مما كان يميز الفعل التفكيكي للحكاية في الرواية السابقة ، تتخذ الرواية التشعبية آلية جديدة في تفكيك الحكاية ، بحيث يقوم كيانها الحكائي على مجموع مقاطع وقصص مبعثرة تصل بينها روابط وفق مسارات تشعبية مختلفة، يختار القارئ احداها بحسب فضوله أو انجذابه نحو مسار دون آخر وقد يتخلى عن مساره وينطلق في مسار جديد يقوم على المجازفة بسبب عدم معرفته لبداية القصة الجديدة ، بمعنى فقده للعلامات التي شيدتها قراءته الأولى .

هـ - الزمان والمكان :[10]

يُطوّر قارئ النص التشعبي حبكته ضمن فضاء جغرافي تفاعلي متغيّر المعالم، بحيث يتخذ منه مرشدا ويسعى إلى بنائه ليمنحه معنى، وقد يظهر هذا الفضاء في شكل خريطة تسمح للقارئ النظر فيها، أو في شكل تصميم يمنح القارئ فرصة دخول حكاية التصميم باختيار مكان ما(أي مساحة من فضاء الحكاية) .

يقوّض المكان في النص التشعبي الزمان الذي يرتبط به ، فالنص في فضاءه المشكّل من الشذرات متوقف من حيث زمن السير، ويشتغل الزمان في انتقال القارئ من مقطع إلى آخر، ولكن سرعان ما يجمّده التشعب .

و- الأصوات السردية: [11]

يُخفي النص التشعبي شخصياته ويجرّدها من هويتها، بحيث يشار إلى وجودالشخصية بالمذكر أو المؤنث أو بضمير الغائب، وقد يفاجؤ القارئ بتكرار كلام شخصية واحدة حرفيا على لسان شخصية أخرى وفي سياق آخر.

ومن سبل تفكيك الأصوات السردية تشكيل مقطع من صوت داخلي مجهول النسب يضعه المؤلف في مفترق طرق متعددة فيختار القارئ مسارا ظنا منه أن الصوت لشخصية معينة ويكتشف أن ظنه خاطئ فيجدد مساره ، وبذلك لاتتوقف عملية اعادة تشكيل ملامح الشخصيات في النص التشعبي.

ي- التقعير: [12]

وهو أن يضيف المؤلف إلى نصه الأصل حكاية فرعية تأتي في شكل أيقونة : رسم، صورة، منحوتة، بطاقة لعب ... ويكون ذلك عبر مستويات:

-تقعير مادي: أي تقعير السرد في شكل مادي مثل الممرات أو المسارات أو متاهة ...

- تقعير تفاعلي: وهي مغامرات واتجاهات القارئ المختارة من خلال الشكل المادي المقترح

- تقعير سردي : حينما يشتغل السرد مثل الاستعارة عن طريق توليد الخيال والتلغيز...

3-الرواية التفاعلية وآفاق التجربة العربية:

توصف الكتابة الروائية العربية في المجال الرقمي أو الالكتروني بأنها متحرجة من الظهور والتجريب، بحيث ضعف مرْدُودها وقل مريدوها، ولعل الأمر يعود، بحسب رأي سعيد يقطين، إلى ضعف الثقافة الالكترونية لدى فئة الكتّاب والنقاد، فعلى الرغم من ظهور مفاهيم تأسيسية لمصطلحات متداولة في مجال الكتابة الالكترونية والمتعلقة ب"التفاعلية" و"الفضاء الشبكي" و"الواقع الافتراضي" .... وغيرها، إلا أن ضعف استيعابها في النقد العربي حال دون محاولة الكتابة في نظرية الأدب التفاعلي والرواية التفاعلية، والأمر ذاته يقال في مجال الابداع الروائي من قبيل التردد الملحوظ في محاولة التجريب في هذا المجال الجديد.[13]

تحقق التنظير النقدي للتجربة الروائية التفاعلية العربية، التي كانت هاجسا يؤرق المنشغلين بمسألة مصير الأدب الرقمي في العالم العربي، من خلال كتاب سناجلة "رواية الواقعية الرقمية" وتعد تجربته النقدية رائدة في هذا المجال بحيث قدّم من خلالها أسسا نظرية يقوم عليها الجنس الروائي الرقمي ، والملفت أن سناجلة من خلال تسمية كتابه:"رواية الواقعية الرقمية" يخالف فكرة تسمية هذا النوع الجديد بالرواية التفاعلية أو الأدب التفاعلي عموما ويرى بأنه مصطلح غربي يقوم على فكرة التفاعل بين النص والقارئ قبل وجود الانترنيت، فالتفاعل اليوم تغيرت أساليبه وطرقه من خلال معطيات التكنولوجيا في الفضاء الإلكتروني .

ويحاول سناجلة اقتراح مصطلح عربي بديل يلائم الأدب الإلكتروني الجديد وهو (أدب الواقعية الرقمية) ومنه (رواية الواقعية الرقمية) فيكون بذلك قد تجاوز مسألة التنظير والتأسيس للأدب الرقمي إلى مسألة تقديم أنموذج أدبي رقمي جديد ليس له علاقة بالتفاعل بين النص وقارئه وحسب

وإنما بمستويات السرد، والمتن الحكائي أو المضمون، والشكل أو البناء الرقمي مما قد يؤسس لكينونة سردية جديدة تنسلخ من الكينونة الأولى (الرواية) ولكنها توجد لذاتها سمات جديدة أرضيتها الفضاء الزمكاني الافتراضي وواقعها افتراضي يقوده أو يربط أحداثه بطل أو انسان افتراضي ، وفي روايات محمد سناجلة يتتبع الروائي لحظات تحول هذا الانسان من كينونته الأولى الواقعية المحددة بمعالم الحياة الحقيقة المعاشة إلى كينونته الجديدة التي يعيش من خلالها عالمه الافتراضي [14].

ومن العقبات التي تقف أمام الروائيين العرب في الكتابة الرقمية عموما تلك المتعلقة بالممارسة الالكترونية التي تنحصر بين أيدي التقنيين ومعدي البرامج الالكترونية والحاسوبية ممن لاعلاقة لهم بمجال الكتابة والابداع الأدبي، ويقع الاشكال في أن المبدع الرقمي يحتاج إلى من يسقط ابداعه الروائي على الحاسوب وفق انظمة وبرامج مثالها برنامج "المسرد" المذكور سابقا.

وحينما يكتمل الجانب الرقمي في المدونة الروائية يصبح التقني بمثابة صانع المدونة الالكتروني وبديل المؤلف الحقيقي ولعلها الحال التي يلخصها حسام الخطيب من خلال تساؤلات وانشغالات يطرحها في قوله :" وأي دور يبقى للمؤلف\الكاتب في ظل المشاركة الكاملة للقارئ من جهة ، وتطورات التأليف الجماعي للنصوص ؟ هل ستصبح مهنة الكتابة فائضة، بل بائدة؟ أو سوف تطور الكتابة نفسها لتكون هي الاطار العام الذي يحتوي مختلف العمليات المعقدة للابداع وللمعالجات المعرفية المفتوحة في عالم الحاسوب " .[15] ولما كان مجال البرمجيات الحاسوبية وعلاقتها بالابداع الروائي وكيفيات تلقيه مما يعصب على المؤلف الروائي تحقيقه، بقيت انشغالات الخطيب قائمة إلى اليوم .

والملفت أن الأسئلة والإنشغالات التي طرحها الخطيب لقيت استجابة من خلال تجربة محمد سناجلة في تكفّله الشخصي باخراج أعماله الروائية في شكلها الرقمي التفاعلي، وصرّح في كتابه (رواية الواقعية الرقمية) بأنه نشر رواية "ظلال الواحد" على شبكة الأنترنيت دون تدخّل شريك تقني، وهي رواية مكتوبة باستخدام التقنية الرقمية (links) وهي تقنية يعتمدها تقني الحاسوب في بناء صفحات ومواقع على الانترنيت، وتمثّل لغة الكترونية جديدة تضيف المؤثرات السمعية والبصرية ...وغيرها من الاضافات الرقمية على الكلمات المكتوبة [16]،

إن التغيير الذي مس شكل الرواية الجديدة بالدرجة الأولى من خلال النشر الإلكتروني والقراءة التفاعلية لم يلغ الغاية المعرفية والجمالية للنص الروائي من وراء تطوره الشكلي وعبر وسائطه

الالكترونية ، بل دخل ضمن المنطق العلاماتي للنص الذي يحاول اخفاء معالمه بهدف زيادة المقدرة القرائية والتأويل.

ولعل الرواية التفاعلية هي صورة من صور الإبداع الأدبي والتي تُظهر عملية التلقي وتفاعلات المتلقي بشكل يقرّ بحقيقة أن لا وجود لنص دون قارئ، ولعل العلاماتية أو السيميائية التي نظّرت للتشكيل البصري تعد مرجعية التشكل الرقمي الذي لايرتبط بالنص ومؤلفه بقدر ما يرتبط بالقارئ وتفاعله بحيث يمنح النص سيرورة قرائية وتأويلية حتى يقترب من المؤول الذي ينتج معرفة ما [17].

ولعل تجربة محمد سناجلة كانت الفريدة في مجال الرواية الرقمية العربية ، وتؤكد قدرة المبدع العربي على تخطي عقبة الكتابة الالكترونية واخراج العمل الرقمي واللحاق بركب الأدب الالكتروني العالمي .

هوامش البحث:

[1]- ينظر، سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، المركز القافي العربي، الدار البيضاء\بيروت،ط1، 2008،ص 68-69.

[2]- زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، منشورات دار الأمان، الرباط،ط2، 2013، ص18.

[3]- نفسه، ص 350.

[4]-ينظر، فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص114-115.

[5]- ينظر، فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء\بيروت، ط1، 2008، ص147.

[6]- جان كليمون (jean clément) هل النص التشعبي التخييلي نوع أدبي جديد ، ضمن كتاب، الأدب الرقمي، مجموعة مؤلفين، ترجمة محمد أسليم، الدار المغربية العربية للنشر والطباعة والتوزيع، الرباط، ط1، نوفمبر2016، ص 157.

[7]- جان كليمون (jean clément) ، السابق ص 160.

[8]- نفسه، ص 164.

[9]- جان كليمون (jean clément) ، السابق ص 169.

[10]- نفسه ، الصفحة نفسها

[11]- نفسه ،ص170

[12]- نفسه،ص 172-173.

[13]- ينظر، سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص209.

[14]- ينظر، فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص124.

[15]- حسام الخطيب، الأدب والتكنولوجيا، ص131.

[16]- ينظر محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية، ص 07

[17]- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1 1433 هـ\2012 م، ص 346.

ببليوغرافيا:

- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، المركز القافي العربي، الدار البيضاء\بيروت،ط1، 2008.

- زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، منشورات دار الأمان، الرباط،ط2، 2013.

- فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء\بيروت، ط1، 2008.

- جان كليمون (jean clément) هل النص التشعبي التخييلي نوع أدبي جديد ، ضمن كتاب، الأدب الرقمي، مجموعة مؤلفين، ترجمة محمد أسليم، الدار المغربية العربية للنشر والطباعة والتوزيع، الرباط، ط1، نوفمبر2016

-سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي)،المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء ، 2005 .

-فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء\بيروت، ط1، 2006.

-حسام الدين الخطيب، الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرغ Hypertexte ، نشر المؤلف، رام الله، ط3، 2018

-محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية، كتاب الكتروني، صفحة كتب facebook.com/the. Boooks

- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1 1433 هـ\2012 م.